

صناعة الكلام - الدرس الثاني

أثر المتلقي على المقال التحريبي

كما أن الحديث مع شخص بالغ يختلف كل الاختلاف عن الحديث مع مراهق، فكذلك الكتابة لكل منهما. بل إن تصنيفات القراء تفرض على الكاتب مالا يفرضه الحديث، حيث أن القارئ لا يرى من تعابير الكاتب إلا الحروف التي يرسمها على الورق.

تصنيف المتلقي للمادة التحريبية

- أن يعرف كشخص بعينه، كما في الرسائل.
- أن يعرف كمجموعة من البشر كأن يطلب أحد منا كتابة مقال للإناث أو الإمركيين أو الأطفال أو المراهقين.
- الخطاب العام: خطاب المجموعة الذي يمكن تعميمه على باقي البشر/
- الخطاب الخاص. خطاب فئة ذات مصطلحات خاصة متفق عليها.

أثر المتلقي على بنية المقال

لنفرض أن شخصاً طلب منا كتابة مقال عن التلوث تخاطب به أطفالاً دون العاشرة ، مالذي يمكن أن نقول فيه؟

ربما سيكون موضوعنا بالترتيب التالي:

« نحن نعيش في كوكب جميل أخضر اسمه الأرض. بيت كبير بحاجة للتنظيف والعناية وإلا امتلأ بالزبالة والفضلات. لذا فعلينا جميعاً أن نكون حريصين على رمي فضلاتنا في الأماكن المخصصة حتى يتمكن عمال النظافة من جمعها والتخلص منها بالطريقة المناسبة. »

لنعد الآن كتابة ما قلناه بمخاطبة مجموعة من المراهقين:

« التلوث ظاهرة حديثة نتجت عن التراكم السريع للنفايات بأنواعها لسوء أو عدم توفر الأدوات المناسبة للتخلص منها. فرمي العلب والحاويات المعدنية في الزبالة وعدم تدويرها تلوث. والإسراف في استخدام المياه ورميها في قنوات الصرف الصحي تلوث والإكثار من استخدام الآلات التي تستخدم البترول في تشغيلها ومشتقاته تلوث. »

لنعد الآن كتابة ما قلناه ولنخاطب به مجموعة من خرجي الثانوية:

« التلوث ظاهرة حديثة نتجت عن التراكم السريع للنفايات بأنواعها سواء لعدم توفر التكنولوجيا أو الأدوات المناسبة لتدويرها أو معالجتها . فتراكم المبيدات الحشرية التي تستخدم في قتل الآفات الزراعية الضارة ونفاذها للمياه الجوفية تلوث، ورمي النفايات المعدنية والكيميائية، التي لا تقبل التحلل عضوياً، بكثرة في المزابل وفي قنوات الصرف الصحي تلوث. نضيف إلى ذلك أطنان الغازات السامة التي تنبعث من مداخن المصانع وعوادم السيارة لتكتمل صورة التلوث كأحد أهم مصادر الخطر على مصير الجنس البشري على سطح كوكبنا الأخضر الجميل. »

الآن، لننتحدث بخطاب عام:

التلوث ظاهرة حديثة نتجت عن التراكم السريع للنفايات بأنواعها. ونقصد بكلمة نفايات كل ما ينتجه الإنسان من مواد معدنية وكيميائية وعضوية خلال نشاطه اليومي وبحته عن الرزق. أما سبب التراكم السريع لها فهو الانفجار السكاني وسرعة الانتاج والتبذير...

أخيراً، لنخاطب مختصاً قائلين:

التلوث بأشكاله الغازية والمعدنية والكيميائية كابوس يهدد الوجود البشري على هذا الكوكب. فغازات العوادم وسموم مداخن المصانع تدمر بسرعة مخيفة طبقة الأوزون وترفع بسرعة لم يشهدها التاريخ من قبل درجات حرارة الكوكب، مما يهدد بحسب أطروحات بعض المختصين بعصر جليدي جديد أو على الأقل غرق العديد من المدن الساحلية حول العالم. »

أثر المتلقي على المقال

على مستوى المفردات:

لاحظ، عزيزي الطالب، كيف تبدلت المفردات بتبدل المتلقي للموضوع، فالطفل الصغير قد لا يفهم مفردات **التدوير** و**الحاويات** و**قنوات الصرف** بينما لن تغيب تلك المفردات عن ذهن المراهق أو البالغ، الخ.

على مستوى الأسلوب

عندما نتحدث عن الأسلوب فنحن نتحدث عن أمرين:

- الروابط الداخلية للمقال.
- اختيار شخصية المتحدث وما يبنى عليه من ضمائر.

الروابط الداخلية للمقال

الحديث مع طفل يتطلب منا بناء عبارات قصيرة واضحة. يتطلب كذلك تجنب تقنيات الربط النحوية المعقدة كالتقديم والتأخير وتقنيات الربط الصناعية المعقدة كاستخدام الوحدات المعارضة والعبارات التي تحتاج إلى أدوات ترقيم متطورة كالنقطة التي تحتها فاصلة.

يمكن الترقى في استخدام الروابط كلما نرقى المتلقي عمراً وثقافة.

اختبار شخصية المتحدث

قبل أن تكتب سطراً عليك أن تقرر بأي ضمير ستتحدث. فإن اخترت أنا فيجب أن يكون كلامك دائماً وشخصياً مما ينتج ما يسمى بالأسلوب الشخصي المفيد جداً في الحديث مع الأطفال. أما استخدام نحن والتي فيها نوع من التفخيم، كما في حديث الملوك، والعموم، وكما في الحديث الثقافي والتعليمي.

ملخص القول أن للمتلقي أثراً مباشراً على بنية الموضوع التعبيري سواءً بمحدودية مفرداته أو بمحدودية قدراته على قراءة الروابط اللغوية التي سيأتي ذكرها في وقت لاحق من هذه الندوة.